

مَعَ عُرُوجِ أَرِيْبٍ - حَوْشُنَا الصَّغِيرُ

"مِنْ كَرَمِ الْمَرْءِ بُكَائُهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ، وَحَنِينُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَحِفْظُهُ قَدِيمَ إِخْوَانِهِ" هَذَا سَلْطَ الصَّوْءِ أَمِيرُ الْبَيْتَانِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَى خَصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الْكَرَامِ، وَمَنْ سِوَاهُ يُمَكِّنُهُ أَنْ يُبْصِرَ الدُّرَرَ وَيُرْشِدَ إِلَيْهَا بِسِحْرِ بَلَاغَةٍ عَلَى خُطَى جَوَامِعِ الْكَلِمِ الْمُحَمَّديِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ السَّلَامُ. وَمِنْ عَلَى هَذَا الْمُدَرِّجِ الْمُقَدَّسِ نَرْتَقِي جَنَاحَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مَعَ أَدِيبِنَا الْأَرِيْبِ الْفَاضِلِ وَهُوَ يَنْثُرُ دُمُوعَ الشَّوْقِ الْبَيَّاكِي عَلَى "مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ، وَحَنِينِهِ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَحِفْظِهِ قَدِيمَ إِخْوَانِهِ" بِحَدِيثِهِ عَنِ الْحَوْشِ الَّذِي تَرَعَّرَعَ فِيهِ، تِلْكَ الْبُقْعَةُ الْكَائِنَةُ بِجَوَارِ قَبْرِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ وَبِضَعْتِهِ الطَّاهِرَةِ وَسِبْطِهِ الْمُجْتَنِبِ وَسَجَّادِهِ وَبَاقِرِهِ وَجَعْفَرِهِ وَالْأَقْمَارِ الدَّائِرَةِ فِي فَلَاكِ بِقِيَعِهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، ذَلِكَ الْمَكَانُ الَّذِي "هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ بَادِعٍ أَوْ مَسَاحَةٍ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي تَحُوطُهَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْبُيُوتِ الْمُسْتَدِيرَةِ الْمُتَرَاصَّةِ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ عَلَى شَكْلِ حَلِيقَةِ دَائِرِيَّةٍ يَقَعُ الْحَوْشُ فِي مُنْتَصَفِهَا"، فَهَيَّا بِنَا نُوَاصِلُ مَا ابْتَدَأْنَاهُ مِنْ سَرَبِ عُرُوجِ لِنَعْرُجَ مَعَهُ هُنَا وَهُوَ يَقُولُ دَامَ عَطَاؤُهُ

(١):-

فِي حَوْشُنَا ذَاكَ الصَّغِيرِ

قَضَيْتُ أَجْمَلَ ذِكْرِيَاتِي

كَانَتْ حَيَاتِي كَالرَّبِيعِ

وَلَيْسَ أَرْوَعَ مِنْ حَيَاتِي

تِلْكَ الطُّفُولَةُ لَمْ تَزَلْ

عِطْرًا يَفُوحُ بِأُمْنِيَّاتِي

الزَّاهِيَّاتِ مِنَ الطُّيُوفِ

تَمْجُوحُ بِي فِي الزَّاهِيَّاتِ

وَهُنَاكَ كُنْتُ عَلَي الصَّدى

أَخْتَالُ فِي السَّيِّئَاتِ الْجِهَاتِ

أَلْهُو كَمَا يَلْهُو الْفَرَّاشُ

عَلَى الشَّمْسِ مَوْعِدِ الْمُشْعَلَاتِ

فِي حَوْشِنَا ذَاكَ الصَّغِيرِ

رَسَمْتُ بِأَلْوَاحِ لَامِ ذَاتِي

كُلُّهُ لَأَزِقَّةٍ مَعْبَرُ

نَحْوِ الْأَمَانِي الْوَاعِدَاتِ

سَحَرًا أُحَدِّقُ فِي النَّجُومِ

الْعَابِرَاتِ إِلَى الشَّتَاتِ

لَا شَيْءَ غَيْرُ اللَّهْوِ

يَعْنِيْنِي وَدُنْيَا الْمُؤْمِنِينَ

لَا شَيْءَ غَيْرُهُ دُنَا الصَّيِّبِ

أَهْوَاهُ مِنْ مَاضٍ وَآتٍ

دُنْيَايَ فَرَحَةٌ قَادِمٌ

عَبْرَ الدُّرُوبِ الْمُتَعَبَاتِ

دُنْيَايَ ضِحْكَةٌ عَابِثٌ

بَيْنَ الْحُقُوقِ الْيَنَابِغَاتِ

دُنْيَايَ بَسْمَةٌ عَاشِقٍ

لِلْمُتَرَفَاتِ الْغَنَائِبَاتِ

دُنْيَايَ نَشْوَةٌ عَارِفٍ

غَنَى بِرَأْسِ الْخَنَانِ الْخُذَاةِ

دُنْيَايَ لَهْفَةٌ طَامِئٍ

لِلنَّبْعِ يَرْكُضُ فِي الْفَلَاحِ

دُنْيَايَ جَذْبَةٌ عَارِفٍ

نَشْوَانٍ مِنْ خَمْرِ الصَّلَاةِ

هِيَ خَشَعَةُ الصَّوْفِيِّ .

أَثَرَ عَزْلَةٍ فِي الصَّوْمِ مَعَاتٍ .

أُمِّي ..

أُمِّي .. وَأَرْكَعُ خَاشِعًا

أَتَلُّو نَشِيدَ الْأُمِّهِاتِ .

كَانَ الْبَرِّيقُ بَعِيدٌ نَهَا

حُلُمِي إِلَى بَرِّ النَّجَاةِ .

كَانَتْ تَعَوِّذُنِي إِذَا

جَنَّ الدُّجَى بِالسَّمَلَاتِ .

أَغْفُو وَأَسْمَعُهَا تُتَمِّمُ

يَا لِحُلُومِ النَّمْنِمَاتِ .

أُمِّي أَرْامُ وَعَايِدُهَا

مِلَاءُ الْجُفُونِ الْمُرْهَقَاتِ .

أَبِي ..

وَأَبِي .. سَلَامٌ لِلصَّامِرِ الْحَيِّ .

فِي زَمَنِ الْمَمَاتِ

لِلْقَلْبِ أَصْفَى رِفْءٍ

مِنْ سَلَسَلِ فِي صَفَاةِ

مِنْ نَسْمَةِ الْفَجْرِ الْإِزْهِيقِ

إِذَا سَرَتْ فِي الْكَائِنَاتِ

الْجِيرَانُ :

كَانُوا هُمْ اللَّحْنِ الْجَمِيلِ

صَدَّى تَرَدَّدَ فِي لَهَا تِي

كَانُوا هُمْ السَّرِّ الْمَوْقِعِ

فِي رُمُوزِ الْإِجْتِمَاعِ

كُنَّا مَعًا لَا شَيْءَ يَجْمَعُنَا

سِوَى حُبِّ الْحَيَاةِ

نَتَبَادَلُ الْحُبَّ الطَّهْرَ

بَيْنَ كَهْفَةِ الْخَلِّ الْمَوْاتِي

نَتَقَاسَمُ الْإِبْلَاقَ إِذَا هَبَّتْ

رِيَّاحُ الْعَصَافَاتِ

نَتَقَّاسَمُ الْبِرْدَ الْمُبَرِّحَ

فِي اللَّيَالِي الشَّاتِيَاتِ

نَغْفُو عَلَى الْعَيْشِ الزَّهِيدِ

وَنَسْتَفِيقُ عَلَى الْفُتَاتِ

اللَّيْلُ يَهْمِسُ فِي

أَغَانِينَا بِأَحْوَلامِ الْعُفَاةِ

وَالْفَجْرُ ذَاكَ الْفَجْرُ لَا شَيْءَ

سِوَى فَرَحِ الْعُفَاةِ

كَمْ رَفَّ فِي أَحْوَلامِنَا

طَيْفُ السَّيِّئِينَ الْآنِيَاتِ

كَمْ شَبَّ فِي آمَالِنَا

شَوْقُ الْعُيُونِ الْحَالِمَاتِ

كَمْ رَقَّ فِي أَسْمَاعِنَا

زَجَلُ الطُّيُورِ السَّاجِعَاتِ

تَحْنُو الذُّفُوسُ الطَّيِّبَاتُ

عَلَى الذُّفُوسِ الطَّيِّبَاتِ

.....

كَمْ رَدَّ دَتٌ فِي الْحَيِّ

جَارَتُنَا أَشِيدَ الرُّعَاةِ

كَمْ نَثَّرَتٌ فِي عُرْسَهَا

فَرَحًا زُهُورَ الزَّغَرَدَاتِ

إِنَّ أَطْلَاقَتٌ فِي الْحَيِّ جَارَتُنَا

صُرَاخَ الثَّائِلَاتِ

الْكُلُّ يَهْرَعُ سَاكِبًا

سَيْلَ الْجُفُونِ الدَّامِعَاتِ

نَبْكِ لِمَصْرُوحَتِهَا

بُكَاءَ الْوَالِيَيْنِ عَلَى الرُّفَاتِ

نُصْغِي لِأَنْتِهَا إِذَا

أَنْتِ أَنْيْنَ الْفَقَائَاتِ

كَمْ مَصْفًى قَدْ دَسَّ بِكَ الطَّمُوحُ

إِلَى الشُّمُوسِ الطَّلَعَاتِ

لِلدُّفْعِ فِي بَرْدِ الشَّتَاءِ

إِذَا انْقَضَى لَيْلُ السُّبَاتِ

كَمْ غَرَّ دَ الْعُصْفُورُ مُبْتَهِجًا

بِأَنْسَامِ الْغَدَاةِ

كَمْ نَامَ قِطُّ الْحَيِّ

بَيْنَ فِرَاشِنَا لَيْلَ الْبَيَاتِ

كَمْ فَأْرَةٌ رَقَصَتْ عَلَيَّ

أَشْيَانِنَا رَقِصَ الطُّغَاةِ

فِي كُلِّ فَلَبٍ خَفِيفَةٍ

فِي الْحَيِّ تَنْبِيضُ رِيَالِ حَيَاةِ

الْحَوْشُ مَمْلُوكَةٌ لَنَا

وَالْحَيُّ حَمْنُ الْمُحْمَنَاتِ

الْحَوْشُ يَجْرِي فِي دِمَاءِ

السَّكَدِينَ إِلَى الْمَمَاتِ

الْحَوْشُ نَكَهَتْهُنَا إِذَا

اشْتَقْنَا إِلَى طَعْمِ الْحَيَاةِ